AL-QANATIR
INTERNATIONAL JOURNAL OF ISLAMIC STUDIES
eISSN: 2289-9944
Vol. 31. No. 1. July Issue (2023)

THE BALANCE BETWEEN THE SOUL AND THE BODY IN WORSHIP FROM A QURĀNIC PERSPECTIVE: AN ANALYTICAL STUDY

التوازن بين الروح والجسد في العبادات من خلال القرآن الكريم: دراسة تحليلية

Hajer Amero Khalifa[i] & Abdelali Bey Zekkoub[ii]

[i] (*Corresponding author*). Ph.D Student, Tafsir and Sciences of al-Quran, Al-Madinah International University (MEDIU). hajar.enami@gmail.com
[ii] Associate Professor, Faculty of Islamic Sciences, Al-Madinah International University (MEDIU). bey.zekkoub@mediu.edu.my

Abstract

This study focused on the balance between the soul and the body in worship and studying it in the Holy Qur'an. The terms soul and body have multiple connotations and meanings. According to the context of its verses and the topics, it deals with, all of which are mentioned in the noun form. In his noble Book, God Almighty legislated multiple acts of worship according to a balanced and integrated view that corresponds to the requirements of the soul and the desires of the body. By employing inductive and deductive approaches, this study concluded that it appears in these worships that the Qur'an honors both the soul and the body, and did not separate them despite from the difference in its nature and the quality of each ritual among the parts of the related human entity. Rather it took into account the duality of the human race, which consolidates that interdependence to achieve stability and balance for it, and even leads to its happiness in this world and the hereafter. Among the aspects in which the connection of the soul with the body appears in its clear verses: are prayer, zakat, fasting, and hajj.

Keywords: *Balance, Soul, Body, Worship, al-Qur'ān.*

ملخص البحث

اهتمت هذه الدراسة بتسليط الضوء على التوازن بين الروح والجسد في العبادات ودراستها في ضوء القرآن الكريم، وقد وردت لفظتي الروح والجسد في القرآن الكريم بدلالات ومعاني متعددة، على حسب سياق آياته والموضوعات التي تعالجها، ووردت جميعها بصيغة الاسم، وقد شرَّع الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عبادات متعددة وفق نظرة متوازنة متكاملة تتوافق مع متطلبات الروح ونوازع الجسد، موظفا المنهج الاستقرائي والتحليلي؛ لاستقراء الآيات ذات الصلة بموضوع الدراسة، ثم تحليلها، وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج، منها: (١) ورود لفظتي الروح والجسد في القرآن الكريم بدلالات ومعاني متعددة، على حسب سياق آياته والموضوعات التي تعالجها، ووردها جميعا بصيغة الاسم. (٢) تشريع الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عبادات متعددة

وفق نظرة متوازنة متكاملة تتوافق مع متطلبات الروح ونوازع الجسد، حيث يظهر في هذه العبادات تكريم القرآن للروح والجسد معًا، ولم يفصل بينها على الرغم من اختلاف طبيعتها ونوعية كل شَعِيرة منها بين أجزاء الكيان الإنساني المترابط، بل راعى ما في الجنس البشري من ازدواجية بما يرسخ ذلك الترابط لتحقيق الاستقرار والتوازن له، بل ويؤدي إلى إسعاده في الدنيا والاخرة. (٣) من الجوانب التي يظهر فيها ارتباط الروح بالجسد في آياته البينات، الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج. الكلمات المفتاحية: التوازن، الروح، الجسد، العبادات، القرآن الكريم.	

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.أما بعد.

فقد اهتمت هذه الدراسة بتسليط الضوء على التوازن بين الروح والجسد في العبادات ودراستها في ضوء القرآن الكريم، بعيدًا عن التباين الواقع بين الدراسات والأبحاث التي نتج عنها بعض المغالطات في تحديد مفهوم الروح ومعرفة حقيقتها، حيث غلب الجانب الفلسفي على تلك الأبحاث والدراسات فترة من الزمن، ووظفت هذا الفكر في محاولة تحديد مفهوم الروح وكنهها وسر وجودها وخروجها من الجسد، ثم امتزج ذلك الجهد بالسلوك الصوفي ورياضة النفس وتطهير القلب وسلامته، واتجهت إلى حرمان الجسد سواء عند بعض المتصوفة من المسلمين أو المسيحيين أو البوذيين.

فلم تهتم تلك الدراسات بعرض منهج القرآن الكريم في الموازنة بين الروح والجسد من خلال جانب العبادات اهتمامًا دقيقًا، وإنما كان ذلك في الإطار العام أو في زوايا ضيقة تشير فيها أحيانًا في العموم لجوانب التشريع عقيدة وأحكامًا ومعاملات.

وتكمن إشكالية هذه الدراسة في أنَّ القرآن الكريم يلتقي مع الفطرة على طبيعتها، فالروح والجسد في القرآن الكريم ملاك الذات الإنسانية، تتم بهما الحياة ولا تنكر أحدهما في سبيل الآخر؛ ولذلك كان من الضروري تناول الموضوع بعرض الآيات القرآنية التي يظهر من خلالها التوازن بين الروح والجسد في جوانب العبادات، وما أهمية تصحيح الأخطاء التي وقع فيها البعض وملء هذه الفجوة في الدراسات الحديثة، من خلال موازنة قائمة على مراعاة متطلبات الروح والجسد في العبادة.

كما تكمن هذه الإشكالية في تفنيد القرآن الكريم وجود أي صراع قائم بين الروح والجسد، وذلك وفق نظرة متوازنة متكاملة تتوافق مع متطلبات الروح ونوازع الجسد، حيث كرَّم الروح والجسد معًا، فلم يفصل

بين أجزاء الكيان الإنساني المترابط، بل راعى ما فيه من ازدواجية بما يرسخ ذلك الترابط لتحقيق الاستقرار والتوازن للإنسان ويكفل إسعاده في الدنيا والاخرة.

المبحث الأول: دلالات الروح والجسد في القرآن الكريم

المطلب الأول: دلالات الروح في القرآن الكريم

وردت لفظة الروح في القرآن الكريم بدلالات ومعاني متعددة، على حسب سياق آياته والموضوعات التي تعالجها، حيث ورد ذكرها في القرآن الكريم في ثلاثة وعشرين موضعاً، وردت جميعها بصيغة الاسم.

١. الحياة: تأتي الروح بمعنى الحياة التي يكون بها قِوام الكائنات، وذلك كقوله تعالى:﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾(القرآن. الإسراء: ٨٥). فُسِّر (الروح) في الآية هنا على أنه العنصر المركب في الخلق الذي يحيا به الإنسان. قال الشوكاني: "اختلف الناس في الروح المسؤول عنه، فقيل: هو الروح المدبر للبدن الذي تكون به حياته، وبهذا قال أكثر المفسرين".[١] وكما في قوله عز وجل:﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(القرآن. الأنبياء: ٩١). "والروح: هو القوة التي بها الحياة، قال تعالى:﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾ (القرآن. الحجر: ٢٩)، أي جعلت في آدم روحا فصار حيا".[٢]

٢. جبريل: وقد تطلق ويراد بها جبريل عليه السلام كما في قوله تعالى:﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾(القرآن. الشعراء: ١٩٣)، يعني: جبريل عليه السلام. ومن هذا القبيل قوله سبحانه: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (القرآن. البقرة: ٨٧)، قال الطبري: "وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال: الروح في هذا الموضع جبريل؛ لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه أيد عيسى به".[٣] وكقوله جلَّ في علاه:﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾(القرآن. النحل: ١٠٢)، وروح القدس: جبريل.[٤] وكقوله تعالى:﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾(القرآن. مريم: ١٧)، وكقوله تعالى:﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾(القرآن. النبأ: ٣٨)، وقال سبحانه:﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي

---

[١] الشوكاني، محمد بن علي. فتح القدير، ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ١٤١٤ هـ، ج١، ص ٣٠١.

[٢] ابن عاشور، محمد الطَّاهر. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ، ج ١٧، ص ١٣٨.

[٣] الطبري، محمد بن جرير. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، ج٢، ص٢٢٣

[٤] ينظر ابن عاشور. التحرير والتنوير، ج ١٤، ص ٢٨٤.

يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾(القرآن. المعارج: ٤)، والروح: في هاتين الآيتين هو جبريل عليه السلام الموكل بإبلاغ إرادة الله تعالى وإذنه وتخصيصه بالذكر لتمييزه بالفضل على الملائكة. ونظير هذا قوله:﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾(القرآن. القدر: ٤) أي في ليلة القدر.[٥]

٣. الوحي: وقد تطلق ويراد بها القرآن أو الوحي والنبوة أو بيان الحق الذي يجب اتباعه كما في قوله تعالى:﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾(القرآن. غافر: ١٥)، قال ابن كثير: "يعني القرآن". ونحوه قوله سبحانه:﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾(القرآن. النحل: ٢)، قال القرطبي: "الروح: الوحي".[٦]

٤. الرحمة: وتأتي بمعنى الرحمة كما في قوله سبحانه وتعالى:﴿يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾(القرآن. يوسف:٨٧). فالروح بمعنى هنا الرحمة، قال قتادة: "أي: من رحمة الله".[٧]

٥. النصر: كما تأتي الروح بمعنى النصر، ومنه قوله تعالى:﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾(القرآن. المجادلة: ٢٢)، قال الشوكاني: "أَيْ: قَوَّاهُمْ بِنَصْرٍ مِنْهُ عَلَى عَدُوِّهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَسَمَّى نَصْرَهُ لَهُمْ رُوحًا لِأَنَّ بِهِ يَحْيَا أَمْرُهُمْ، وَقِيلَ: هُوَ نُورٌ الْقَلْبِ".[٨]

كما أن هناك ألفاظًا أخرى في كتاب الله تعالى كالنفس والقلب والعقل تأتي بمعنى الروح أو لها علاقة بالروح كما في قوله جلَّ في علاه:﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(القرآن. الزمر: ٤٢)، "وقال بعضُ السَّلفِ [رحمهمُ اللَّهُ] يقبضُ أرواحَ الأمواتِ إذا ماتوا، وأرواح الأحياءِ إذا ناموا"،[٩] وما جاء في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾(آل عمران: ١٤٥)، وكذلك ما جاء في قوله سبحانه:﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ

---

[٥] ينظر ابن عاشور. المصدر نفسه، ج ٢٩، ص ١٥٧.

[٦] ينظر القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، ج ٩، ص ٢٥٢.

[٧] الطبري، محمد بن جرير. تفسير الطبري، ج١٣، ص ٣١٤.

[٨] الشوكاني. الفتح القدير، ج٥، ص٢٣١

[٩] ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، ج ٧، ص١٠٢.

إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (القرآن. المائدة: ١١٦)، وقوله سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾(القرآن. الشمس: ٧)، وقوله عزَّ وجل:﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾(القرآن. الفجر: ٢٧)، وذلك ماورد في قوله جلاَّ في علاه:﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(القرآن. يوسف: ٥٣)، وقوله سبحانه﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(القرآن. البقرة: ٤٤)، ومنه قوله عزّ وجل:﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾(القرآن. الأنعام: ٩٣)، فالمقصود بالنفس في هذه الروح، وقد شاع استعمال النفس في الإنسان خاصة؛ ويراد به هذا المركب من الجسم والروح، ويظهر هذا إلى جانب ما سبق في قوله تعالى:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾(القرآن. القصص: ٣٣)، والمقصود هنا الرجل القبطي الذي قتله موسى عليه السلام في أرض مصر.[١٠]

ومما عبَّر فيه سبحانه عن الروح بالنفس وقصد به العقل ما جاء في قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾(القرآن. المائدة: ١١٦)، فالنفس هنا أُطلقت على العقل وعلى ما به الإنسان إنسان. وهي الروح الإنسانية؛ والمعنى هنا: تعلم ما أعتقده، أي تعلم ما أعلمه؛ لأن النفس مقر العلوم في المتعارف. وإضافة النفس إلى اسم الجلالة هنا بمعنى العلم الذي لم يطلع عليه غيره، أي ولا أعلم ما تعلمه، أي مما انفردت بعمله. [١١]

المطلب الثاني: دلالات الجسد في القرآن الكريم

وردت كلمة الجسد في القرآن الكريم بعدة دلالات أهمها:

١. البدن المتكوّن من اللحم والدم، قال تعالى:﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾(القرآن. الأعراف: ١٤٨). قال أبو حيان في تفسير الجسد الوارد في الآية: "جسدا بدنا ذا لحم ودم كسائر الأجساد ... وإنما قال: جسدا لأنه يمكن أن يتخذ مخطوطا أو مرقوما في حائط أو حجر أو غير ذلك كالتماثيل المصورة بالرقم والخط والدهان والنقش فبين تعالى أنه ذو جسد".[١٢]

---

[١٠] ينظر ابن كثير. تفسير القرآن العظيم، ج٢، ص ٢١٢.

[١١] ينظر ابن عاشور. التحرير والتنوير، ج٧، ص ١٥٥.

[١٢] أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي. البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، د: ط، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ. ج ٥، ص ١٧٦– ١٧٨.

٢. الجسد هو الذي لا يعقل ولا يميز إنما هو الجثة، وذلك كما في قوله تعالى:﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾(القرآن. طه: ٨٨). "قال الزجاج: الجسد هو الذي لا يعقل ولا يميز إنما هو الجثة، أي أخرج لهم صورة عجل مجسدة بشكله وقوائمه وجوانبه، وليس مجرد صورة منقوشة على طبق من فضة أو ذهب".[١٣]

٣. الجسم الذي لا روح فيه، ذكر ذلك ابن عاشور عند تفسير قوله تعالى:﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾(القرآن. الأعراف: ١٤٨). فقال: "والجسد الجسم الذي لا روح فيه، فهو خاص بجسم الحيوان إذا كان بلا روح، والمراد أنه كجسم العجل في الصورة والمقدار إلا أنه ليس بحي وما وقع في القصص: أنه كان لحما ودما ويأكل ويشرب، فهو من وضع القصاصين، وكيف والقرآن يقول: من حليهم، ويقول: له خوار، فلو كان لحما ودما لكان ذكره أدخل في التعجيب منه".[١٤]

٤. النفس، أي المتجسد الذي فيه الروح يأكل ويشرب، قال تعالى:﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ (القرآن. الأنبياء: ٨). قال الكلبي: "والجسد هو المتجسد الذي فيه الروح يأكل ويشرب، فعلى مقتضى هذا القول يكون ما لا يأكل ولا يشرب جسما وقال مجاهد: الجسد ما لا يأكل ولا يشرب، فعلى مقتضى هذا القول يكون ما يأكل ويشرب نفسًا ذكره الماوردي".[١٥]

ووردت كلمة الجسد في قوله تعالى﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ (القرآن. ص: ٣٤) بعدة معاني، قال الماوردي في تفسير هذه الآية: "وفي هذا الجسد أربعة أقاويل :

- أحدها: أنه جسد سليمان مرض فكان جسده ملقى على كرسيه، قاله ابن بحر .
- الثاني: أنه ولد له ولد فخاف عليه فأودعه في السحاب يغذى في اليوم كالجمعة، وفي الجمعة كالشهر وفي الشهر كالسنة، فلم يشعر إلا وقد وقع على كرسيه ميتًا، قاله الشعبي .
- الثالث: أنه أكثر من وطء جواريه طلباً للولد، فولد له نصف إنسان، فهو كان الجسد الملقى على كرسيه، حكاه النقاش .
- الرابع: أن الله كان قد جعل ملك سليمان في خاتمه فكان إذا أجنب أو ذهب للغائط خلعه من يده ودفعه إلى أوثق نسائه حتى يعود فيأخذه، فدفعه مرة إلى بعض نسائه وذهب لحاجته فجاء

[١٣] ابن عاشور. التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ٢٨٦,

[١٤] ابن عاشور. المصدر نفسه، ٩، ص ١١٠.

[١٥] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج ١١، ص ٢٧٣.

شيطان فتصور لها في صورة سليمان فطلب الخاتم منها فأعطته إياه، وجاء سليمان بعده فطلبه، فقالت قد أخذته فأحس سليمان".[١٦]

المبحث الثاني: التوازن بين الروح والجسد في العبادات

شرع الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عبادات متعددة وفق نظرة متوازنة متكاملة تتوافق مع متطلبات الروح ونوازع الجسد، حيث يظهر في هذه العبادات تكريم القرآن للروح والجسد معًا، ولم يفصل بينها على الرغم من اختلاف طبيعتها ونوعية كل شعيرة منها بين أجزاء الكيان الإنساني المترابط، بل راعى ما في الجنس البشري من ازدواجية بما يرسخ ذلك الترابط لتحقيق الاستقرار والتوازن له بل ويؤدي إلى إسعاده في الدنيا والاخرة. ومن الجوانب التي يظهر فيها ارتباط الروح بالجسد في آياته البيانات مايلي :

١. الصلاة

الصلاة عماد الدِّين والخطوة الأولى والأخيرة للإيمان الحقيقي والتوحيد والتقرب من الله التي يحقق الإنسان من خلالها التناغم مع الذات الإلهية والكون والطبيعة وحياته الروحية والعقلية والجسدية قال تعالى﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾(القرآن. البقرة: ١٧٧)، "وقد جمعت هذه الخصال جماع الفضائل الفردية والاجتماعية الناشئ عنها صلاح أفراد المجتمع من أصول العقيدة وصالحات الأعمال. فالإيمان وإقام الصلاة هما منبع الفضائل الفردية، لأنهما ينبثق عنهما سائر التحليات المأمور بها".[١٧]

فالصلاة "جامعة لأنواع العبادات النفسية والبدنية والمالية، أما النفسية فالتفكر فيما يتكلم به فيها من القرآن وغيره، والنية ومجاهدة الشيطان ومناجاة الله. وأما البدنية فاستعمال لسانه فى التكلم بذلك خصوصاً فى كلمتى الشهادة، وجوارحه فى الرفع والخفض والمكث فى القيام والجلوس والركوع والسجدتين وما بينهما، والاستقبال فى كل ذلك، والكف عن شهوة الفرج والبطن، والتطهير وستر ما يجب ستره فى الصلاة، وأما المالية فالماء واللباس".[١٨]

---

[١٦] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. النكت والعيون الشهير بتفسير الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، د: ط، دار الكتب العلمية – بيروت: لبنان، ج٥، ص ٩٦.

[١٧] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ١٣٢.

[١٨] أطفيش، محمد بن يوسف. هميان الزاد إلى دار المعاد: ج ١، ص ٢٩١.

ومثل قوله عزَّ وجل:﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(القرآن. البقرة: ٢٧٧)، ومثل قوله تعالى:﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾(القرآن.النساء: ١٠٣)، قال ابن عاشور في تفسيرها: "والظاهر من قوله: فإذا قضيتم الصلاة أن المراد من الذكر هنا النوافل، أو ذكر اللسان كالتسبيح والتحميد، (فقد كانوا في الأمن يجلسون إلى أن يفرغوا من التسبيح ونحوه)، فرخص لهم حين الخوف أن يذكروا الله على كل حال والمراد القيام والقعود والكون على الجنوب ما كان من ذلك في أحوال الحرب لا لأجل الاستراحة".[١٩]

وكقوله عزَّ وجل:﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾(القرآن. المائدة: ١٢)، ومثل قوله عزَّ وجل:﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾(القرآن. التوبة: ٥٤)، وكقوله جلَّ في علاه:﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾(القرآن. هود: ١١٤)، وكقوله سبحانه:﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾(القرآن. مريم: ٥٩)، وقوله تعالى:﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(القرآن. الحج: ٣٥)، ومثل قوله عزَّ وجل:﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾(القرآن. الحج: ٤١)، ومثل قوله تعالى:﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾(القرآن. النور: ٣٧)، ومثل قوله عزَّ وجل:﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾(القرآن. العنكبوت: ٤٥)، ومثل قوله تعالى:﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(القرآن. الجمعة: ١٠)، ومثل قوله سبحانه وتعالى:﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (القرآن. البقرة: ١١٠).

والمتأمل في هذه الآيات يدرك أنَّ الصلاة من أجلِّ العبادات التي تحقق للإنسان التوازن فهي تؤطر جسده في حركات معينة مفادها الخضوع والتسليم لله، وتوازن بينها وبين سمو الروح في أثناء تأدية هذه الحركات التي تحقق خضوعهما لله سبحانه وتعالى، فهي: حركة جسم متطهر إلى جانب حركة روح متطلعة تحاول في خشوعها أنْ تتصل بالله سبحانه وتعالى، وهي لا تصح دون تهيؤ الجسم لها بالتطهر والوضوء، فقال

[١٩] ابن عاشور. التحرير والتنوير، ج ٥، ص ١٨٨.

تعالى:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(القرآن. المائدة: ٦)، "ومعنى إذا قمتم إلى الصلاة إذا عزمتم على الصلاة، لأن القيام يطلق في كلام العرب بمعنى الشروع في الفعل ... فظاهر الآية الأمر بالوضوء عند كل صلاة لأن الأمر بغسل ما أمر بغسله شرط بـ {إذا قمتم} فاقتضى طلب غسل هذه الأعضاء عند كل قيام إلى الصلاة".[٢٠]

واشتراكه في القيام والركوع والسجود، قال تعالى:﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾(القرآن. الحج: ٢٦)،"والقائمون هم المصلون. وذكر تعالى من أركان الصلاة أعظمها، وهو القيام والركوع والسجود".[٢١]

فهذه الوضعية تنظف جهاز الدوري والجهاز العصبي وتمنح الجسد الخفة، كما تمنح النفس المشاعر المتمثلة بالفرح والإشراق، وتغذي الجسد الداخلي بالأوكسجين وتحقق التوازن، وبذلك كله تُحدث لنا الصلاة بركوعها وسجودها (التوازن الجسدي والنفسي للجسم)، بهذه الوضعيات تؤدى الصلاة، لقد كان رسول الله ﷺ يطلب من بلال كلما ضاقت الأحوال {أرحنا بها يا بلال الصلاة}[٢٢] قاصداً الصلاة، وزد على تلك الإشراقات التي تعتري الروح وتُرتسمُ تباعاً على الوجوه، فتَكتسبُ منه سِمتَ الجمال والرحمة والإشراقة يقول سبحانه وتعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾(القرآن. الفتح: ٢٩)، "وهذا ثناء عليهم بشدة إقبالهم على أفضل الأعمال المزكية للنفس، وهي الصلوات مفروضها ونافلتها وأنهم يتطلبون بذلك رضى الله ورضوانه. وفي سوق هذا في مساق الثناء إيماء إلى أن الله حقق لهم ما يبتغونه".[٢٣]

ولا شك أنَّ تلك الهيئات تساعد على الخشوع الذي هو روحها كما تحقق الاخباث والانكسار لله وتحقيق العبودية والذل والاعتراف لله المجيد بالعظمة والكبرياء والألوهية، فلا تكتمل فائدتها ولا تقبل دون

---

[٢٠] ابن عاشور. التحرير والتنوير، ج ٦، ص ١٢٨.

[٢١] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج ١٢، ص ٣٧.

[٢٢] أخرجه الطبراني، سليمان بن أحمد. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ج ٦، ص ١٢٨، رقم الحديث: ٦٢١٥. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير، وفيه أبو حمزة الثمالي، وهو ضعيف واهي الحديث. ينظر الهيثمي، أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م، ج١، ص ١٤٥.

[٢٣] ابن عاشور. التحرير والتنوير، ج ٢٦، ص ٢٠٥.

تهيؤ الروح بالوعي والخشوع والتطلع إلى الله قال عز وجل:﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾(القرآن. المؤمنون:١،٢)، "وتقييده هنا بكونه في الصلاة لقصد الجمع بين وصفهم بأداء الصلاة وبالخشوع وخاصة إذا كان في حال الصلاة لأن الخشوع لله يكون في حالة الصلاة وفي غيرها، إذ الخشوع محله القلب فليس من أفعال الصلاة ولكنه يتلبس به المصلي في حالة صلاته.

وذُكر مع الصلاة؛ لأنَّ الصلاة أولى الحالات بإثارة الخشوع وقوته ولذلك قدمت، ولأنه بالصلاة أعلق فإن الصلاة خشوع لله تعالى وخضوع له، ولأن الخشوع لما كان لله تعالى كان أولى الأحوال به حال الصلاة لأن المصلي يناجي ربه فيشعر نفسه أنه بين يدي ربه فيخشع له. وهذا من آداب المعاملة مع الخالق تعالى وهي رأس الآداب الشرعية ومصدر الخيرات كلها".[٢٤]

كما يظهر التوازن بين روح الصلاة وجسدها، في أدائها، طاعة لله والتزامًا بأمره وقيامًا بركن من أركان دينه، فيصلي المسلم وهو يدري لماذا أمره الله الحكيم بأداء الصلاة في أوقاتها وعلى هيئاتها؟ ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾(القرآن. هود: ١١٤)، "والأمر بالإقامة يؤذن بأنه عمل واجب لأن الإقامة إيقاع العمل على ما يستحقه، فتقتضي أن المراد بالصلاة هنا الصلاة المفروضة، فالطرفان ظرفان لإقامة الصلاة المفروضة، فعلم أن المأمور إيقاع صلاة في أول النهار وهي الصبح وصلاة في آخره وهي العصر وقيل المغرب".[٢٥]

وبذلك يجني الأثر الذي تحدثه في نفسه، وعلاقاته، ومجريات حياته...مما يساعده في بناء نفسه بناء إيمانيًا وأخلاقيًا صادقًا، فتهذبها وتسمو بها وتنأى بها عن الفواحش، وتكون حصنًا ووقايةً لصاحبها من الذنوب والآثام، قال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾(القرآن. العنكبوت:٤٥) "وعلل الأمر بإقامة الصلاة بالإشارة إلى ما فيها من الصلاح النفساني فقال إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فموقع إن هنا موقع فاء التعليل ولا شك أن هذا التعليل موجه إلى الأمة لأن النبيء صلى الله عليه وسلم معصوم من الفحشاء والمنكر فاقتصر على تعليل الأمر بإقامة الصلاة دون تعليل الأمر بتلاوة القرآن لما في هذا الصلاح الذي جعله الله في الصلاة من سر إلهي لا يهتدي إليه الناس إلا بإرشاد منه تعالى فأخبر أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والمقصود أنها تنهى المصلي".[٢٦]

وقال القرطبي في تفسير هذه الآية: "وهو الذي ارتضاه المحققون وقال به المشيخة الصوفية وذكره المفسرون، فقيل المراد بـ{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ} إدامتها والقيام بحدودها، ثم أخبر حكما منه بأن الصلاة تنهى صاحبها وممتثلها عن الفحشاء والمنكر، وذلك لما فيها من تلاوة القرآن المشتمل على الموعظة. والصلاة تشغل كل

[٢٤] ابن عاشور. التحرير والتنوير، ج ١٨، ص ٩.

[٢٥] ابن عاشور. التحرير والتنوير، ج ١٢، ص ١٧٩.

[٢٦] ابن عاشور. التحرير والتنوير، ج ٢٠، ص ٢٨٥.

بدن المصلي، فإذا دخل المصلي في محرابه وخشع وأخبت لربه وادكر أنه واقف بين يديه، وأنه مطلع عليه ويراه، صلحت لذلك نفسه وتذللت، وخامرها ارتقاب الله تعالى، وظهرت على جوارحه هيبتها، ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صلاة أخرى يرجع بها إلى أفضل حالة. فهذا معنى هذه الأخبار، لأن صلاة المؤمن هكذا ينبغي أن تكون".[٢٧]

فالإنسان في هذا التشريع يتعبد ليُرضي نداء الروح وحاجة الجسد إلى الاتزان بين الحركة والسكون والتزود والتزهد، فعندما تذنب النفس البشرية جسدًا أو روحًا فإن أول ملاذ يحقق لها هذا الاتزان والارتياح الصلاة، وما فيها من ركوع وسجود كفيل أنْ يحقق التطهر من المعاصي يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(القرآن. آل عمران: ١٣٥). فعن عمرَ بنِ الخطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ: {مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيَبْلُغَ -أَوْ: فَيُسْبِغَ -الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وأَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ}.[٢٨]

والصلاة هي مقام السرِّ والقُرب من الخالق سبحانه وتعالى من خلال الإيمان المتجلي بالممارسة الداخلية عبر الروح، والخارجية المتمثلة بحركات ووضعيات الجسد، قال تعالى:﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾(القرآن. طه: ١٤)، فيبتهل بها العابد بكل جوارحه لله في السر والعلن، وقد بين ذلك ابن عاشور في معرض حديثه عن تقسير هذه الآية فقال: "وخص من العبادات بالذكر إقامة الصلاة لأن الصلاة تجمع أحوال العبادة. وإقامة الصلاة: إدامتها، أي عدم الغفلة عنها. والذكر يجوز أن يكون بمعنى التذكر بالعقل، ويجوز أن يكون الذكر باللسان. واللام في لذكري للتعليل، أي أقم الصلاة لأجل أن تذكرني، لأن الصلاة تذكر العبد بخالقه. إذ يستشعر أنه واقف بين يدي الله لمناجاته. ففي هذا الكلام إيماء إلى حكمة مشروعية الصلاة وبضميمته إلى قوله تعالى:﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾(القرآن. العنكبوت: ٤٥) يظهر أن التقوى من حكمة مشروعية الصلاة لأن المكلف إذا ذكر أمر الله ونهيه فعل ما أمره واجتنب ما نهاه عنه والله عرف موسى حكمة الصلاة مجملة وعرفها محمدا صلى الله عليه وسلم مفصلة. ويجوز أن يكون اللام أيضا للتوقيت، أي أقم الصلاة عند الوقت الذي جعلته لذكري. ويجوز أن يكون الذكرُ الذكرَ اللساني؛ لأنَّ ذكر اللسان يحرك ذكر القلب، ويشتمل على الثناء على الله والاعتراف بما له من الحق، أي الذي عينته لك. ففي الكلام إيماء إلى ما في أوقات الصلاة من الحكمة".[٢٩]

---

[٢٧] القرطبي. الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣، ص ٣٤٨.

[٢٨] رواه مسلم في صحيحه، انظر مسلم بن الحجاج، كتاب الطهارات، باب الذكر المستحب عقب الوضوء، تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،رقم الحديث: ٢٣٤، ج١، ص ٢٠٩.

[٢٩] ابن عاشور. التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ٢٠٠، ٢٠١.

والمتأمل في وضعيات الصلاة في الإسلام يقدر أهميتها، وحاجتنا لها كبشر جسديًا وروحيًا، وما وضعيات الصلاة وهيئاتها إلا تجسيد لعظمة الإنسان، وحفاظ عليه، فلكل وضعية سرُّها الجسدي والروحي معاً، وهذا أشبه ما يكون بالبرمجة اللغوية العصبية فالإنسان يبدأ الصلاة مع رحلة الشمس، والمجرات، عبر السموات، حيث كل شيء في الكون يسبح البارئ بديع السموات والأرض، ولهذا فإن أوقات الصلاة الخمس تحمل سرَّها في توافق رحلتها مع الشمس، التي تبدأ من الفجر وتنتهي بصلاة العشاء قال عزَّ وجلَّ:﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾(القرآن. الإسراء: ٧٨)، وقال سبحانه:﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾(القرآن. الإسراء: ٧٩). وقال تعالى:﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾(القرآن. ق: ٤٠)، "فالمراد بالتسبيح: الصلاة وهو من أسماء الصلاة، قال ابن عطية: أجمع المتأولون على أن التسبيح هنا الصلاة. قلت: ولذلك صار فعل التسبيح منزلا منزلة اللازم لأنه في معنى: صل. والباء في بحمد ربك يرجح كون المراد بالتسبيح الصلاة لأن الصلاة تقرأ في كل ركعة منها الفاتحة وهي حمد لله تعالى، فالباء للملابسة".[٣٠]

قال تعالى:﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾(القرآن. الطور: ٤٩)، وقال جلَّ في علاه: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ (القرآن. الروم: ١٧، ١٨)، "فَسُبْحانَ اللَّهِ خطاب للمؤمنين بالأمر بالعبادة والحض على الصلاة في هذه الأوقات"؛[٣١] لهذا فإن الالتزام بأوقات الصلوات الخمس يحقق التناغم والتوحد مع الدورة الطبيعية لهذا الكون .

٢. الزكاة

الزكاة عبادة مالية مبنية على اعتبار ما بأيدي الأغنياء– من الأموال– مال الله سبحانه، وما هم إلا مستخلفون فيه، ومؤتمنون عليه، حيث شرعت لتسد حاجات الفقراء وتنتزع من قلوبهم كراهة الأغنياء مع أثرها الطيب في نفس المزكي والبركة في ماله على الرغم مما في ظاهرها من أخذ ونقص، يقول الله جل في علاه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾(القرآن. البقرة: ٤٣). فإقامة الصلاة في المرتبة الأولى من عبادة الله تعالى؛ لأنها روح العبادة والإخلاص له، ويليها إيتاء الزكاة لأنها تدل على زكاة الروح وقوة الإيمان،[٣٢] "والزَّكَاةَ مأخوذة من زكا الشيء إذا نما وزاد، وسمي الإخراج من المال زكاة وهو نقص منه من حيث ينمو بالبركة أو بالأجر الذي يثيب الله به المزكي وقيل الزَّكَاةَ مأخوذة من التطهير، كما يقال زكا فلان أي طهر من دنس

[٣٠] ابن عاشور. التحرير والتنوير، ج ٢٦، ص ٣٢٦.

[٣١] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ، ج ٤، ص ٣٢٣.

[٣٢] رشيد رضا. محمد، المنار، ج ١ ص ٢٩٤، ط٤.

الجرحة أو الاغفال، فكأن الخارج من المال يطهره من تبعة الحق الذي جعل الله فيه للمساكين، ألا ترى أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم سمى في الموطأ ما يخرج في الزكاة أوساخ الناس".[٣٣]

والزكاة لا تصح بأحد العنصرين دون الآخر، فلا تصح بالإنفاق دون طهارة النفس من الشح، والبذل عن طيب خاطر، قال تعالى:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(القرآن. التوبة: ١٠٣)، يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره لهذه الآية الكريمة أنَّ آية التوبة: "دالة على أن الصدقة تطهر وتزكي. والتزكية: جعل الشيء زكيا، أي كثير الخيرات. فقوله: تطهرهم إشارة إلى مقام التخلية عن السيئات. وقوله: تزكيهم إشارة إلى مقام التحلية بالفضائل والحسنات. ولا جرم أن التخلية مقدمة على التحلية. فالمعنى أن هذه الصدقة كفارة لذنوبهم ومجلبة للثواب العظيم".[٣٤]

ولذلك فسَّر الشيخ أمحمد بن يوسف أطفيش التطهر بأنه: "التطهر من الذنوب وحب المال والتزكية للحسنات والرفع إلى منازل المخلصين الخارجين إلى الجهاد".[٣٥]

وذلك أنَّ النفس البشرية جُبلت على حب الاستزادة من الأموال، فإذا تركت وما جُبلت عليه تأصلت هذه الجبلة فيها فاستعصى علاجها وتعذر استئصالها فتسعى إلى توفير المال ولو على حساب الغير، وقد جعل الله إيتاء الزكاة وسيلة من وسائل علاجها. [٣٦]

وقد شرَّعت الزكاة تأليفاً بين صاحب المال والمحتاج، وإعانة على العبادة، ورحمة للمحتاج؛ ولأن حب المال يشغل عن الله، ويبعد عنه، فشرعت فيه، ليتقرب بها إليها، وليقل المال الذي هو سبب لقسوة القلب، وحب الدنيا، ولامتحان العبد؛ لأن التكاليف البدنية أقل مشقة على العبد. [٣٧]

وقال الشعراوي في تفسير قوله تعالى:﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾(القرآن. التوبة: ١٠٣) "كيف تكون الصدقة تطهيراً للآخذ وهو لم يذنب ذنباً يحتاج إلى تطهير، بل هو مُعطىً له لأنه محتاج؟ ونقول: إن الآخذ حين يأخذ من مال غيره، وهو عاجز عن الكسب فهو يتطهر من الحقد على ذي النعمة؛ لأنه وصله بعض من المال الذي عند ذي النعمة، فلا يحقد عليه ولا يحسده، فهو إن رأى عنده خيراً، دعا له بالزيادة؛ لأن بعضاً من الخير يعود عليه. وهكذا تتطهر نفس الفقير من الحقد والحسد. هذا عن التطهير، فماذا عن التزكية والنماء؟ إن الفقير ساعة يرى نفسه فقيراً، ويرى أن المجتمع الإيماني يقوم برعايته ولا

---

[٣٣] ابن عطية. المحرر الوجيز، ج ١، ص ١٣٦.

[٣٤] انظر ابن عاشور. التحرير والتنوير، ج ١١، ص ٢٣.

[٣٥] أطفيش، امحمد بن يوسف. همیان الزاد إلى دار المعاد، ج٢، ص٢٢.

[٣٦] انظر الخليلي، أحمد بن حمد. جواهر التفسير، ج٣، ص ١٧٣.

[٣٧] انظر أطفيش، امحمد بن يوسف. همیان الزاد إلى دار المعاد، ج٦، ص٣٢.

يتركه وحيداً، ويتسابق أهل الخير لنجدته، فنفسه تنمو بالاطمئنان؛ لأنه في مجتمع إيماني. إذن: فقوله الحق: ﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾ راجع لكل العناصر في الآية".[٣٨]

كما يظهر هذا التوازن من ناحية أنَّ فرض الإنفاق في الاسلام مبني على اعتبار ما بأيدي الأغنياء– من الأموال– مال الله سبحانه، وما هم إلا مستخلفون فيه، ومؤتمنون عليه، والدلالة على ذلك واضحة في قوله تعالى:﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾(القرآن. النور: ٣٣)، وقوله:﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾(القرآن. الحديد: ٧)، "والشعور بذلك يمنع الغني إذا مد يده إلى الفقير بشيء من المال من الاستعلاء والاستكبار، كما أنه يحمي الفقير حين يمد يده لتناول حقه من الغني من الذلة والانكسار، فالمعطي لم يعط إلا من مال الله، الذي من الله عليه به، وأوجب عليه الانفاق منه، والآخذ لم يأخذ إلا حقه الشرعي الذي فرضه الله له مما جعله تعالى في أيدي الأغنياء من المال، فلا منّ ولا إيذاء، ولا استعلاء ولا استكبار من قبل المعطي، ولا ذلة ولا انكسار ولا خضوع ولا استخذاء من قبل الأخذ، وهذه المبادئ القيمة هي مخلصا من محن الفقر ولآواء الفاقة".[٣٩]

والزكاة تسد بها حاجات الفقراء، وتنتزع من قلوبهم كراهة الأغنياء مع أثرها الطيب في نفس المزكي، عندما تطهرها من رجس شهوة المال، فمنفعتها عائدة على الجانبين وهذا يظهر لنا منهج القرآن في معالجة قضية الزكاة والأنفاق وما فيها من التوازن بين الروح والجسد.

٣. الصوم

تأتي عبادة الصيام لتذكر المسلم بما ينبغي أن يكون عليه في حياته، من التوازن بين أشواق الروح ومتطلبات الجسد؛ بحيث لا يطغى الإنسانُ في تلبيه حاجات أحدهما، على الآخر. فهو ليس امتناع جسمي عن الطعام والشراب والجماع فقط دون أنْ تشاركه الروح بالتقوى، والامتناع عما يفسد جو الصيام من قتال وخصام وفحش في القول والفعل إلى جانب تقوى المشاعر، قال عزَّ وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(القرآن. البقرة: ١٨٥)، وكقوله جلَّ في علاه:﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا

[٣٨] الشعراوي، محمد متواي. تفسير الخواطر، مطابع أخبار اليوم، ج٩، ص ٥٤٧٣..

[٣٩] الخليلي، أحمد بن حمد. جواهر التفسير، ج٢، ص ٤٦.

الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(القرآن. البقرة: ١٨٧).

يقول الطبري في تفسيره لقوله تعالى:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(القرآن. البقرة: ١٨٣): "وتتقون قيل: معناه هنا تضعفون، فإنه كلما قل الأكل ضعفت الشهوة، وكلما ضعفت الشهوة قلت المعاصي. وهذا وجه مجازي حسن. وقيل: لتتقوا المعاصي. وقيل: هو على العموم؛ لأن الصيام كما قال عليه السلام: {الصِّيَامُ جُنَّةٌ فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ}،[٤٠] وسبب تقوى، لأنه يميت الشهوات".[٤١]

فهو يغرس في المسلم هذا السلوك بطريقة عملية؛ إذ يمتنع فيه المسلم عن شهوتي البطن والفرج لساعات– حتى يزكي روحه وقلبه– ثم يلبي حاجة الجسد مع غروب الشمس. حتى إنه جاء في السنة النهي عن الوصال في الصيام؛ أي ألا يفطر الإنسان عند الغروب، ويستمر صائمًا بالليل حتى يصله باليوم الثاني؛ ففي صحيح مسلم من حديث ابن عمر {أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم نَهَى عَنْ الْوِصَالِ. قَالُوا إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ؛ إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى}.[٤٢]

وقد ذكر ابن عاشور في ذلك كلاما نفيساً فقال: "والصوم بمعنى إقلال تناول الطعام عن المقدار الذي يبلغ حد الشبع أو ترك بعض المأكل: أصل قديم من أصول التقوى لدى المليين ولدى الحكماء الإشراقيين، والحكمة الإشراقية مبناها على تزكية النفس بإزالة كدرات البهيمية عنها بقدر الإمكان، بناء على أن للإنسان قوتين: إحداهما روحانية منبثة في قرارتها من الحواس الباطنية، والأخرى حيوانية منبثة في قرارتها من الأعضاء الجسمانية كلها، وإذ كان الغذاء يخلف للجسد ما يضيعه من قوته الحيوانية إضاعة تنشأ عن العمل الطبيعي للأعضاء الرئيسية وغيرها، فلا جرم كانت زيادة الغذاء على القدر المحتاج إليه توفر للجسم من القوة الحيوانية فوق ما يحتاجه وكان نقصانه يقتر عليه منها إلى أن يبلغ إلى المقدار الذي لا يمكن حفظ الحياة بدونه، وكان تغلّب مظهر إحدى القوتين بمقدار تضاؤل مظهر القوة الأخرى، فلذلك وجدوا أن ضعف القوة الحيوانية يقلل معمولها فتتغلب القوة الروحانية على الجسد ويتدرج به الأمر حتى يصير صاحب هذه الحال أقرب إلى الأرواح والمجردات منه إلى الحيوان، بحيث يصير لا حظ له في الحيوانية إلا حياة الجسم الحافظة لبقاء الروح فيه، ولذلك لزم تعديل مقدار هذا التناقص بكيفية لا تفضي إلى اضمحلال الحياة، لأن ذلك يضيع المقصود من تزكية النفس وإعدادها للعوالم الأخروية، فهذا التعادل والترجيح بين القوتين هو أصل مشروعية الصيام في الملل ووضعيته في حكمة الإشراق، وفي كيفيته تختلف الشرائع اختلافا مناسبا للأحوال

---

[٤٠] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، ج ٢، ص ٢٤، رقم ١٨٩٤.

[٤١] الطبري، ابن جرير. جامع البيان، ج٢ ص ٢٧٥/٢٧٦.

[٤٢] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصوم، باب النهي عن الوصال في الصيام، ج ٢، ص٧٧٤، رقم الحديث ١١٠٢.

المختصة هي بها بحيث لا يفيت المقصد من الحياتين، ولا شك أن أفضل الكيفيات لتحصيل هذا الغرض من الصيام هو الكيفية التي جاء بها الإسلام".[٤٣]

فليس في الصيام حرمانًا للجسد من الضرورات التي تقوم بها حياته؛ إنما هو تذكير بالغاية التي لا تنحصر في متطلبات مادته، وإبراز لحقوق الروح التي لا تقل أهمية عن حقوق الجسد، بل تعلوها؛ إذ الإنسان من غير تحقيق الجانب الروحي فيه- بالعبادة والتقوى وصالح الأعمال- ينحطّ إلى دركات سفلى، ويفقد ما ميزه الله به عن سائر المخلوقات .

فالصيام الجسدي هو الامتناع عن المفطرات المرتبطة بالحاجة واللذة الحسيّة التي اعتدنا عليها طيلة إحدى عشرة شهراً من السنة وبطريقة "مفرطة" غير متوازنة، مما يؤدّي إلى حالة ضغط نفسي عصبي عندما نمتنع عن تلك المفطرات في شهر الصيام الوحيد في السنة! وكيف لا ونحن نعيش انفعالات وتعبا جسديا وخمولا أثناء ساعات الصيام، حيث نوحي لأنفسنا أنها حالة طبيعيّة بحجة امتناعنا عن المأكل والمشرب وكأن الإنسان معني بآلة الجسد فقط! وفي نفس الوقت نصبر أنفسنا بمكافأة الإفطار من مائدة عامرة بما لذ وطاب، وكأنه شهر الظهور والتنافس في فن الطهي وصنع المقبّلات والحلويّات وما إلى ذلك من قوائم الطعام الموقوتة بالدهون والسعرات! وكأننا نعيش ألم الجوع مقابل التطلّع إلى شهوة الطعام ولذته، لنعبّئ بطوننا عندما يحين موعد الإفطار، ونستعد بعد ذلك ليوم آخر لنكرر دورة الجوع والشبع من جديد! كل ذلك دون أن ندرك!

وبتلك الممارسة يصبح في موجات الدماغ المسمّاة بألفا والتي هي موجات التأمل والخيال المبتكر، بل موجات الشفاء من الأمراض المزمنة بعودة توازن عمل أعضاء الجسم والبيئة المحيطة بالخلايا، وبهذا نكون في امتلاء روحي عميق وتفكّر وتبصّر.. هنا يكون الصيام روحيا حيث يقترن بممارسة الشعائر الدينيّة فتهدأ النفس وتستكين.

٤. الحج

الحج عبادة تشتمل على أعمال جسدية وحركة روحية، ولا يصح بأحد العنصرين دون الآخر، فلا يصح بدون الحركة الجسدية من توجه وانتقال وسفر وتجرد من المخيط والمحيط ... إلخ.

ولا يصح دون التزام التقوى والتطهر والخشوع، قال تعالى:﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ﴾(القرآن. البقرة: ١٩٧)، وكقوله جلَّ في علاه:﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾(القرآن. البقرة: ١٥٨)، وكقوله جلَّ في علاه:﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ

[٤٣] ابن عاشور. التحرير والتنوير، ج ٢، ص ١٥٩.

الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾(القرآن. آل عمران: ٩٧)، ومثل قوله عزَّ وجل:﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾(القرآن. الحج: ٢٧، ٢٩) ومثل قوله عزَّ وجل:﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾(القرآن. الحج: ٣٠]، ومثل قوله تعالى:﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾(القرآن. الحج: ٣٢).

وبذلك يرتبط العمل بالعبادة، ويمتزجان كامتزاج الجسم بالروح في داخل كيان الإنسان، فلا ينعزل بروحه –حتى في عبادته– عن واقعه الجسدي، ولا يجعل العبادة رهبانية وعزلة عن الحياة،[٤٤] قال تعالى:﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(القرآن. القصص: ٧٧).

يقول محمد متولي الشعراوي في تفسيره لقوله تعالى:﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ﴾(القرآن. البقرة: ١٩٧). "أراد الحق سبحانه وتعالى أن يقطع على النفس البشرية هذا الشر فقال:﴿وَتَزَوَّدُواْ﴾ إنه أمر من الله بالتزود في هذه الرحلة التي ينقطع فيها الإنسان عن ماله وعن أهله وعن أحبابه وعن معارفه، ويقول سبحانه:﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ونعرف أن الزاد هو ما تَقي به نفسك من الجوع والعطش، وإذا كان التزود فيه خير لاستبقاء حياتك الفانية، فما بالك بالحياة الأبدية التي لا فناء فيها، ألا تحتاج إلى زاد أكبر؟ فكأن الزاد في الرحلة الفانية يعلمك أن تتزود للرحلة الباقية، إذن فقوله:﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ يشمل زاد الدنيا والآخرة. والله سبحانه وتعالى يذكرنا بالأمور المحَسّة وينقلنا منها إلى الأمور المعنوية، ولكن إذا نظرت بعمق وصدق وحق وجدت الأمور المعنوية أقوى من الأمور الحسية. ولذلك نلاحظ في قوله سبحانه وتعالى:﴿يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾(القرآن. الأعراف: ٢٦) هذا أمر حسي، ويفيدنا ويزيدنا سبحانه {ريشاً} إنه سبحانه لا يواري السوءة فقط، وإنما زاد الأمر إلى الكماليات التي يتزين بها، وهذه الكماليات هي الريش، أي ما يتزين به الإنسان. [٤٥]

﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾(القرآن. الأعراف: ٢٦) أي أنعمت عليكم باللباس والريش، ولكن هناك ما هو خير منهما وهو {لِبَاسُ التَّقْوَى}. فإن كنت تعتقد في اللباس الحسي أنه سَترَ عورتك ووقاك

[٤٤] انظر دراسات في نفس البشرية. محمد قطب. مرجع سابق، ص٦٧، ٦٨، ٢٣٧.

[٤٥] انظر الشعراوي، محمد متولي. تفسير الخواطر، مطابع أخبار اليوم، ج٢، ص٨٤٨.

حراً وبرداً وتزينت بالريش منه فافهم أن هذا أمر حسي، ولكن الأمر الأفضل هو لباس التقوى، لماذا؟ لأن مفضوح الآخرة شر من مفضوح الدنيا. إذن فقوله:﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾. يعني أن الحق يريد منك أن تتزود للرحلة زاداً يمنعك عن السؤال والاستشراف أو النهب أو الغصب، وأحذر أن يدخل فيه شيء مما حرم الله، ولكن تزودك في دائرة:﴿وَاتَّقُونِ يَاأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي يا أصحاب العقول، ولا ينبه الله الناس إلى ما فيهم من عقل إلا وهو يريد منهم أن يُحَكِّمُوا عقولهم في القضية، لأنه جل شأنه يريد منك أن تُحَكِّمَ عقلك، فإن حَكَّمْتَ عقلك في القضية فسيكون حُكْمُ العقل في صف أمر الله".[٤٦]

خاتمة

من خلال هذا العرض السريع لبعض الآيات المتناولة لبعض أحكام الشعائر التعبدية، والتي أوردتها من باب التمثيل فقط لا الحصر، يدرك الناظر فيها ذلك الترابط والتآلف بين الجانب الروحي والجانب الجسدي، وتظهر له بعض النتائج الدالة على ذلك.

أهم النتائج

١. أنَّ لفظتي الروح والجسد وردتا في القرآن الكريم بدلالات ومعاني متعددة، على حسب سياق آياته والموضوعات التي تعالجها، فتأتي الروح على سبيل المثال بمعنى الحياة التي يكون بها قِوام الكائنات، ويأتي الجسد بمعنى البدن المتكون من اللحم والدم.
٢. عالج القرآن الكريم تشريعاته لأحكام العبادات وغيرها وفق نظرة متوازنة متكاملة تتوافق مع متطلبات الروح ونوازع الجسد، حيث كرَّم الروح والجسد معًا.
٣. لم يفصل القرآن الكريم في تشريعه لتلك العبادات بين أجزاء الكيان الإنساني المترابط، بل راعى ما فيه من ازدواجية بما يرسخ ذلك الترابط لتحقيق الاستقرار والتوازن للإنسان ويكفل إسعاده في الدنيا والاخرة .
٤. تعدُّ شعيرة الصلاة من أجلِّ العبادات التي تحقق للإنسان التوازن فهي تؤطر جسده في حركات معينة مفادها الخضوع والتسليم لله، وتوازن بينها وبين سمو الروح في أثناء تأدية هذه الحركات التي تحقق خضوعهما لله سبحانه وتعالى.
٥. يظهر التوازن بين الروح والجسد في شعيرة الزكاة في سدَّها لحاجات الفقراء، وفي نزعها من قلوبهم كراهية الأغنياء مع أثرها الطيب في نفس المزكي، عندما تطهرها من رجس شهوة المال، فمنفعتها عائدة على الجانبين.

[٤٦] انظر المصدر نفسه. ج٢، ص٨٤٩.

٦. يظهر من خلال عرض الآيات التي شرعت لنا أحكام الصيام أنه ليس فيه أيُّ حرمانٍ للجسد من الضرورات التي تقوم بها حياته؛ إنما هو تذكير بالغاية التي لا تنحصر في متطلبات مادته، وإبراز لحقوق الروح التي لا تقل أهمية عن حقوق الجسد، بل تعلوها.

٧. تعدُّ شعيرة الحج من العبادات التي تشتمل على أعمال جسدية وحركة روحية، ولا يصح تأديتها بأحد العنصرين دون الآخر، فلا يصح بدون الحركة الجسدية من توجه وانتقال وسفر وتجرد من المخيط والمحيط، مع مراعاة حق الجسد من أكل وشرب ونوم، ولا يصح دون تقوى الله والتجرد من الدنيا والابتعاد عن الرفث والفسوق، فلا ينعزل بروحه –حتى في عبادته– عن واقعه الجسدي، ولا يجعل العبادة رهبانية وعزلة عن الحياة.

شكر وتقدير

هذه مستلة علمية من رسالة علمية مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في برنامج التفسير وعلوم القرآن سنة ٢٠٢٢–٢٠٢٣ بجامعة المدينة العالمية في ماليزيا؛ لغرض استكمال شرط التخرج، ويسرني في هذا المقام أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير للأستاذ المشارك الدكتور عبد العالي باي زكوب، المشرف على رسالتي، والمراجع لهذه المستلة العلمية، على ما بذله من نصح وتوجيه، كما أقدم الشكر والتقدير لجامعة المدينة العالمية التي منحتني فرصة استكمال دراسة مرحلة الدكتوراه، ولا يفوتني أن أشكر والدي وزوجي وأبنائي، وكل من كان له فضل عليَّ من المعلمين والموجهين والمربين.

المراجع

ابن عاشور، محمد الطَّاهر. ١٩٨٤. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب. ١٤٢٢هـ. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر. ١٩٩٩. تفسير القرآن العظيم. دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢.

أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي. ١٤٢٠هـ. البحر المحيط في التفسير. بيروت: دار الفكر.

البخاري، محمد بن إسماعيل. ١٤٢٢هـ. صحيح البخاري. دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).

الخليلي، أحمد بن حمد الخليلي. ٢٠٠٤. جواهر التفسير أنوار من بيان التنزيل. روي، سلطنة عمان: مكتبة الاستقامة.

رشيد رضا، محمد. ١٩٩٠. تفسير المنار. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الشعراوي، محمد متولي. د.ت. تفسير الخواطر. مطابع أخبار اليوم.

الشوكاني، محمد بن علي. ١٤١٤هـ. فتح القدير. دمشق: دار ابن كثير، بيروت: دار الكلم الطيب.

الطبري، محمد بن جرير. ١٤٢٢هـ. تفسير الطبري– جامع البيان عن تأويل آي القرآن. دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.

القرطبي، محمد بن أحمد. ١٩٦٤. الجامع لأحكام القرآن – تفسير القرطبي. القاهرة: دار الكتب المصرية.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. د.ت. النكت والعيون الشهير بتفسير الماوردي. بيروت: دار الكتب العلمية.

مسلم بن الحجاج. د.ت. صحيح مسلم. عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

REFERENCES

Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf al-Andalusī. *al-Baḥr al-Muḥīṭ fī al-Tafsīr*. Bayrūt: Dār al-Fikr.

al-Bukhārī, Muḥammad ibn Ismā'īl. 1422H *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī*. Dār Ṭawq al-Najāh.

al-Khalīlī, Aḥmad ibn Ḥamad al-Khalīlī. 2004. *Jawāhir al-Tafsīr Anwār Min Bayān al-Tanzīl*. Salṭanah 'Ammān: Maktabat al-Istiqāmah.

al-Māwardī, Abū al-Ḥasan 'Alī ibn Muḥammad. n.d. *al-Nukat wa al-'Uyūn al-Shahīr bi Tafsīr al-Māwardī*. Bayrūt: Dār al-Kutub al-'Ilmīyyah.

al-Qurṭubī, Muḥammad ibn Aḥmad. 1964. *al-Jāmi' li Aḥkām al-Qur'ān - Tafsīr al-Qurṭubī*. al-Qāhirah: Dār al-Kutub al-Miṣrīyah.

al-Sha'rāwī, Muḥammad Mutawallī. n.d. *Tafsīr al-Khawāṭir*. Maṭābi' Akhbār al-Yawm.

al-Shawkānī, Muḥammad ibn 'Alī. 1414H. *Fatḥ al-Qadīr*. Dimashq: Dār Ibn Kathīr, Bayrūt: Dār al-Kalim al-Ṭayyib.

al-Ṭabarī, Muḥammad ibn Jarīr. 2001. *Tafsīr al-Ṭabarī - Jāmi' al-Bayān 'an Ta'wīl āy al-Qur'ān*. Dār Hajar li al-Ṭibā'ah wa al-Nashr wa al-Tawzī' wa al-I'lān.

Ibn 'Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir. 1984. *al-Taḥrīr wa al-Tanwīr « Taḥrīr al-Ma'nā al-Sadīd wa Tanwīr al-'Aql al-Jadīd min Tafsīr al-Kitāb al-Majīd »*. Tūnis: al-Dār al-Tūnisīyah li al-Nashr.

Ibn 'Aṭīyyah, Abū Muḥammad 'Abd al-Ḥaqq ibn Ghālib. 1422H. *al-Muḥarrir al-Wajīz fī Tafsīr al-Kitāb al-'Azīz*. Bayrūt: Dār al-Kutub al-'Ilmīyah.

Ibn Kathīr, Ismā'īl ibn 'Umar. 1999. *Tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm*. Dār Ṭaybah li al-Nashr wa al-Tawzī'.

Muslim ibn al-Ḥajjāj. n.d. *Ṣaḥīḥ Muslim*. Bayrūt : Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī.

Rashīd Riḍā, Muḥammad. 1990. *Tafsīr al-Manār*. al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah li al-Kitāb.

إنكار

الآراء الواردة في هذه المقالة هي آراء المؤلف. القناطر: مجلة الدراسات الإسلامية العالمية لن تكون مسؤولة عن أي خسارة أو ضرر أو مسؤولية أخرى بسبب استخدام مضمون هذه المقالة.